إشكالية مفهوم الثقافة: رؤية أنثروبولوجية [*]

د. سحر محمد إبراهيم غراب
مدرس الأنثروبولوجيا، كلية الدراسات الأفريقية العليا
جامعة القاهرة

الملخص:

تهدف الدراسة إلى محاولة رصد إشكالية مفهوم الثقافة في علم الأنثروبولوجيا وذلك بسبب طبيعة مفهوم الثقافة وارتباطه الوثيق بالإنسان المتكيف عادة مع الطبيعة والقابل للتغيير والاختلاف والتطوير وبالتالي فمفهوم الثقافة من المفاهيم التي يجب أن تتميز بالمرونة اللازمة، **وفى هذا الصدد تبنت الدراسة المدخل النظري رؤى العالم مع الاعتماد على الدراسة الميدانية من خلال المقابلات البؤرية مدخلًا منهجيًا، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:** إن فكرة إشكالية مفهوم الثقافة عند علماء الأنثروبولوجيا الأوائل هي إشكالية واهية غير حقيقية وقع فيها العلماء الأوائل؛ وذلك لارتباط علم الأنثروبولوجيا قديمًا بفكرة الاستعمار في أفريقيا والنظر إلي الإنسان الأفريقي باعتباره إنساناً بدائيًا تقليديًا يعيش حياته بدون تنظيم وبدون نظام اجتماعي مثل الدول الأوروبية والأمريكية، فلم يتقبل أو يفهم علماء الأنثروبولوجيا الموجدون في أفريقيا طبيعة الحياة والفكر والثقافة، بل حاولوا الربط والمقارنة **فقط** . وتوصي الباحثة إلي أهمية وضع التعريفات والمفاهيم من خلال الإنسان الذي يعطي للكلمة معنى ووظيفة.

الكلمات المفتاحية: إشكالية، الثقافة، رؤية، أنثروبولوجيا

---

[*] **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٤) العدد (٧) أكتوبر ٢٠٢٤.**

The problematic concept of culture: An anthropological vision

ABSTRACT

This study attempts to monitor the problematic concept of culture in anthropology due to the nature of the idea and its close connection with the human being, who is usually adaptable to nature and subject to change, difference and development. Thus, the concept of culture is one of the concepts that must have that necessary flexibility. In this regard, the study adopted a theoretical approach to world visions with reliance on field study through focus interviews as a methodological approach. The study has reached several results, the most important of which is that the idea of the problematic concept of culture among the early anthropologists is a flimsy and unreal problem that got in the way of the early scholars. This could be attributed to anthropology being associated with colonialism in Africa in the past and that common view on Africans as primitive, traditional people who live with no organisation or social system, unlike Europeans and Americans. The African anthropologists did not accept or comprehend the nature of life, thought, and culture but only tried to link and compare. The researcher recommends the importance of developing definitions and concepts through the person who gives the word meaning and function.

Keywords: problematic, culture, vision, Anthropology

المقدمة

تُعد دراسة الثقافة من الدراسات التي أثارت حيرة العلماء، والتي قد لا يصل معها الباحث إلي نتائج واضحة، فمفهوم الثقافة في حد ذاته مفهوم شديد التعقيد. فعلماء الأنثروبولوجيا يعتبرون الثقافة ظاهرة مهمة تستدعي الدراسة، وكونها نظاماً معقداً للغاية فهم لا ينظرون إليها على أنها متغير واحد؛ بل يجب تحليلها من حيث مكوناتها وعلاقاتها.

أكد العالم جاهودا Jahoda أن "مفهوم الثقافة" لا غنى عنه"، ومع ذلك لا

يمكن تعريفه بشكل قاطع، ونصح أنه بقدر ما لا يمكن النظر في جميع جوانب الثقافة في وقت واحد، فمن الأكثر عملية توضيح جوانب الثقافة التي يفكر فيها المرء في وقت معين، وأنه لا ينبغي تقديم صيغة جامدة أو مجموعة متنوعة من التعريفات للناس، ولكن مع إعطاء نظرة ثاقبة للطرائق التي يكون فيها المفهوم مفيداً على الرغم من استحالة تثبيته". (Raeff, Fasoli, Reddy & Mascolo,2020:296)

أولا: مشكلة الدراسة

تتبلور مشكلة الدراسة حول اختلاف علماء الأنثروبولوجيا في تحديد ما الثقافة؟ ومما تتكون الثقافة؟ وماذا تفعل الثقافة؟ وماذا يجب أن تفعل الثقافة؟ على الرغم من أن فكرة الثقافة أصبحت موجودة في كل المحاضرات الأنثروبولوجية والاجتماعية والسياسية في القرن العشرين، فإنها كانت بعيدة كل البعد عن الاتفاق من الناحية المفاهيمية، حيث ركزت النقاشات الأساسية حول محتوى الثقافة وعلاقتها بالمجتمع والحضارة بالإضافة إلى وظيفتها ودورها في المجتمع، فعلى الرغم من قيام بعض العلماء بمحاولات وضع تعريفه لمفهوم الثقافة، فإن هذه المحاولات نُقدَت واتسمت بعدم الشمولية حيث ركزت على دراسة الاختلافات الثقافية بين المجتمعات الحديثة ودراسة الطرائق والسلوكيات المختلفة التي لاسيما أنها من خلالها تظهر الثقافة.

تباينت الآراء حول مفهوم الثقافة ودراستها بين التخصصات الأنثروبولوجيا الأكاديمية فلم يتفق علماء الأنثروبولوجيا الثقافية أنفسهم على ماهية الثقافة حتى اليوم، ولكن أكدوا أن الثقافات البشرية تتغير باستمرار؛ حيث يستجيب الناس للتأثيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها من التأثيرات الخارجية والداخلية – ولا توجد لحظة تكون فيها الثقافة أكثر أصالة أو تقليدية، كما أنهم يقرون بأنها لا يمكن دراستها معزولة عن الزمان والمكان. أن معانيها لا تختلف فقط من مجموعة إلى أخرى، ولكن كل المجتمعات البشرية تعرف نفسها من خلال الثقافة. لأنها انعكاسنا النهائي، لكننا لا ندركها بوعي، وهذا

محور مشكلة مفهوم الثقافة؛ عدم ادراكنا ووعينا بثقافتنا .

ثانيا: أهداف الدراسة

الهدف من الدراسة هنا ليس الوصول إلى تعريف واحد صحيح ومقبول ومعترف به بل **الهدف الرئيسى** توضيح أن إشكالية عدم الإجماع على تعريف واحد هي في حد ذاتها ليست إشكالية؛ وذلك بسبب طبيعة مفهوم الثقافة وارتباطه الوثيق بالإنسان المتكيف عادة مع الطبيعة، والقابل للتغير والاختلاف والتطوير. وينبثق من الهدف الرئيسى **مجموعة من الأهداف الفرعية:**

١- تأكيد أن مفهوم الثقافة من المفاهيم التي يجب أن تتميز بالمرونة اللازمة؛ لكي تناسب التطوير والتغير والاختلاف الذي يصاحب الإنسان في حياته؛ لأن الثقافة ما هي إلا وصف لحياة الإنسان بشكل عام وفي كل العصور والأزمنة؛ ولذلك يجب أن نكون منفتحين على المفاهيم المتنوعة للثقافة، بشرط أن تُشرح بوضوح من قبل مؤيديها وأن تكون منطقية للآخرين.

٢- المناقشات حول مفهوم الثقافة ليست عديمة الجدوى.

٣ – إن الاستمرار في إجراء البحوث حول الثقافة يكون لتعزيز فهمنا للتنمية في جميع أنحاء العالم، لذلك من الضروري الذهاب إلى أبعد من إظهار أن الثقافة مهمة؛ لأننا نحتاج إلى معرفة المزيد عن كيفية ظهور الثقافة في السلوك والتنمية.

ثالثًا: تساؤلات الدراسة

تتبلور مشكلة الدراسة في الإجابة عن تساؤل رئيس مؤداه؛ **لماذا يعتبر مفهوم الثقافة من المفاهيم الإشكالية في علم الأنثروبولوجيا؟** وينبثق عنه مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1 – هل هناك إشكالية منهجية في تعريف مفهوم الثقافة؟

2 – هل هناك مفاهيم غير ملائمة لمفهوم الثقافة في علم الأنثروبولوجيا؟

3 – ما "الثقافة" تحديداً؟ وهل هناك تعريف للثقافة الأفريقية أو للثقافة العربية أو للثقافة الأوروبية؟

4 – هل تعبر التعريفات المتعددة لمفهوم الثقافة عن ثقافتنا؟ ولماذا؟

5 ما رؤية عينة الدراسة لمفهوم الثقافة؟

رابعًا: مفهوم الثقافة من المفاهيم الإشكالية في علم الأنثروبولوجيا

1. مفهوم الثقافة من منظور أنثروبولوجي

وضع تعريف للثقافة ليست مهمة سهلة، كما هو الحال مع العديد من الظواهر البشرية المعقدة (إن لم يكن كلها)، فيمكن تعريفها وفهمها بعدة طرائق. ناقش علماء الأنثروبولوجيا لفترة طويلة، وحاولوا التوصل إلى تعريف مناسب لها، وحتى يومنا هذا ينتقد بعضها مفهوم الثقافة باعتباره مبالغة في التبسيط وتنميطًا للثقافات.

بدأ علماء الأنثروبولوجيا في تطوير تعريف للثقافة يمكن تطبيقه على نطاق واسع، في عام ١٩٥٢ حيث قام عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيان (ألفريد كروبر وكلايد كلوكوهن) بمراجعة نقدية لمفاهيم وتعريفات الثقافة، وقاما بتجميع قائمة مكونة من ١٦٤ تعريفًا مختلفًا، في موسوعة اللغة المكونة من عشرة مجلدات، وعلى الرغم من جهود العلماء لوضع تعريف للثقافة، لم يكن هناك حتي أوائل التسعينيات اتفاق بين علماء الأنثروبولوجيا فيما يتعلق بطبيعتها. وبناءً عليه يعتبر ألفريد كروبر وكلايد كلوكوهن أن الثقافة ليست مجرد سلوكيات، ولكنها نتاج عوامل نفسية واجتماعية وبيولوجية ومادية. وهكذا بدأ التركيز على معنى السلوك، وليس مجرد وصف السلوك نفسه. وأن تعريفها العام الذي يمكن تطبيقه على جميع الثقافات هو أنماط السلوك الشائعة داخل مجموعة سكانية معينة من الناس(Spencer-Oatey,2012:1).

أما علماء الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر، فقد كانوا مهتمين في البداية بوصف وشرح الطرائق المتنوعة للحياة، والمعتقدات، والتقنيات، بالإضافة إلى أنواع الفن والموسيقى، التي يمكن العثور عليها في المجتمعات "التقليدية" – باعتبارها وسيلة لتوثيق عملية التطور الاجتماعي والثقافي الذي كانت الثقافة الغربية الشكل الأكثر تقدماً فيه. هنا، عُرف مصطلح "الثقافة" بمصطلحات عامة، وليست أخلاقية أو جمالية على وجه التحديد، واعتمد على مفهوم تطوري لنمو الحضارة في أنثروبولوجيا القرن العشرين، عُلّقَ التقييم لتسهيل فهم "الثقافات الأخرى" بمصطلحاتها الخاصة، أو كأشكال مميزة من التنظيم الاجتماعي. فهي "أسلوب حياة" وتميل كل من البنيوية والكثير من علم الاجتماع الثقافي إلى تفسير "الثقافة" على أنها تشير إلى عملية صنع المعنى، وغالباً ما يُتعامَل معها على أنها سمة توليدية في كل مكان للحياة الاجتماعية العادية. (Hammersley,2019:60)

يأتي أول تعريف أنثروبولوجي للثقافة من عالم الأنثروبولوجيا البريطاني في القرن التاسع عشر إدوارد تايلور بأنها: ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة، والمعتقد، والفن، والقانون، والأخلاق، والعرف، وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع. ربما يكون هذا هو التعريف الأكثر ديمومة للثقافة على الرغم من أنه يتعلق أكثر بخصائص أو تفاصيل المجموعات الثقافية، حيث يعتقد تايلور أن جميع الثقافات الأخرى كانت متدنية بطبيعتها. إن كل الثقافة البشرية مرت بمراحل من التطور من دولة بربرية إلى دول العلم والعلمانية والفكر العقلاني (Medeiros,2020) ويعتبر تعريف تايلور أحد أقدم وأوضح تعريفات الثقافة، وهو تعريف مقبول على نطاق واسع ويستخدمه علماء الأنثروبولوجيا المعاصرون (Street, B. Vincent, no date). تحدى بواس، عالم الأنثروبولوجيا الألماني الأمريكي، نهج تايلور، واعتمد على المفهوم الألماني للثقافة والسلوكيات والتقاليد المحلية والشخصية لتطوير أفكاره حول الثقافة، واعتقد بواس أن الثقافات لم تتبع تقدماً خطياً كما اعتنقه أنصار التطور الثقافي مثل تايلور، لكنها تطورت في اتجاهات مختلفة بناءً

على الأحداث التاريخية، فقد أضاف بواس وطلابه إلى تعريف تايلور عملية تعلم الثقافة في حياة الأفراد. وأثبتت بنديكت وميد وآخرون أن الثقافة تشكل الهوية الفردية والوعي الذاتي والعواطف، كما أكدوا الحاجة إلى مناهج البحث التي تنظر في السياق الكامل للمجتمع بما في ذلك تاريخه. استغرق بواس سنوات لتطوير تعريف عملي للثقافة، ويعتبر تعريفه من أهم التعريفات عند علماء الأنثروبولوجيا، فالثقافة هي نظام متكامل من الرموز والأفكار والقيم التي يجب دراستها باعتبارها نظاماً (Medeiros,2020).

أما العالم الأنثروبولوجي ماثيو أرنولد، فيؤكد أن جميع الناس "لديهم" ثقافة يكتسبونها بحكم العضوية في مجموعة اجتماعية معينة داخل المجتمع، وأن الثقافة تشكل من مجموعة من المعرفة والعادات والقدرات، وأنها "السعي لتحقيق الكمال التام من خلال التعرف على جميع الأمور التي تهمنا" (Johnson,2013).

أسهمت وجهات النظر الوظيفية في تطوير مفاهيم أكثر تعقيداً للثقافة من خلال إثبات أهمية المؤسسات الاجتماعية في توحيد المجتمعات، بينما لا يزال تحديد التقسيم بين ما هو ثقافي وما هو اجتماعي معقداً، ولكن ساعدت النظرية الوظيفية على تطوير مفهوم الثقافة من خلال إظهار أن الثقافة ليست مجرد مجموعة من الأفكار أو المعتقدات، ولكنها تتكون من ممارسات محددة ومؤسسات اجتماعية تعطي البنية للحياة اليومية والسماح للمجتمعات البشرية بالعمل (Medeiros,2020).

يري ريموند ويليامز Raymond Williams أن كل مجتمع بشري له شكله الخاص وأغراضه ومعانيه الخاصة، ويعبر كل مجتمع بشري عن ذلك في المؤسسات والفنون والتعلم، فتكوين المجتمع هو إيجاد معانٍ واتجاهات مشتركة، وللثقافة جانبان: معانٍ واتجاهات معروفة يتدرب عليها أفرادها، والملاحظات والمعاني الجديدة المعروضة واختبارها، هذه هي العمليات العادية للمجتمعات البشرية والعقول البشرية، ونرى من خلالها طبيعة الثقافة: إنها دائماً تقليدية

وخلاقة؛ وهي أكثر المعاني شيوعاً وأرقى المعاني الفردية، ونستخدم كلمة ثقافة بهذين المعنيين؛ لتعني طريقة كاملة للحياة – المعاني المشتركة. وتعني الفنون والتعلم – العمليات الخاصة للاكتشاف والجهد الإبداعي، وبذلك فإنها تعتبر اعتيادية (Baecker,1997:11).

الثقافات باعتبارها طرائق مميزة للحياة، أصبح هذا المفهوم مركزياً في علم الأنثروبولوجيا خلال القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر، وكان له تأثير عبر العلوم الاجتماعية، ولا يتعامل مع الثقافة هنا على أنها صيغة المفرد بل بصيغة الجمع، فإن مرجعيتها لا تقتصر على الفن والأدب والموسيقى، بل تمتد إلى جميع جوانب الحياة، وإلى جانب القيم والأفكار التي تشكلها. بناءً على وجهة النظر هذه، هناك ثقافات متنوعة، لكل منها تماسك داخلي، وربما تكون اختلافاتها ناتجة عن التباين في البيئة (المناخ، الموارد، إلخ)، أو بسبب كونها أشكالًا فريدة من نوعها تعبر عن هويات مميزة. ويعتبر هذا الاستخدام للمصطلح وصفياً وليس تقييمياً (Hammersley,2019:8).

أشار كليفورد غيرتز، العضو المؤسس لأنثروبولوجيا ما بعد الحداثة، في كتابه تفسير الثقافات (١٩٧٣) إلى أنه لا ينبغي النظر إلى الثقافة على أنها شيء "محبوس في رؤوس الناس" بل إنها تصل علناً من خلال الكلام والسلوكيات الأخرى. وخلص إلى أنها "نمط متوارث تاريخياً من المعاني المتجسدة في الرموز، وهو نظام من المفاهيم الموروثة يعبر عنها في أشكال رمزية يتواصل الناس بواسطتها بشكل دائم (Medeiros,2020).

وافق كل من هوفستد (١٩٩١) وترومبينارس (١٩٩٣) وتشينكوتا ورون كانين (١٩٩٣)، على أن الثقافة قائمة على اللغات والاقتصاد والدين والسياسات والمؤسسات الاجتماعية والطبقة والقيم والمكانة والمواقف والأخلاق والعادات والمواد المادية، فالثقافة عنصر أساسي في فهم كيفية تغيير النظم الاجتماعية، لأنها تؤثر على كل من معايير وقيم هذه الأنظمة وسلوك المجموعات في تفاعلاتها داخل وعبر الأنظمة. وهي السمة الفريدة لمجموعة

اجتماعية؛ القيم والمعايير التي يتقاسمها أعضاؤها وتميزها عن المجموعات الاجتماعية الأخرى وتتأثر بالمعتقدات الواعية. ومن ثم ليست هناك ثقافة واحدة صحيحة والأخرى خاطئة، إنها مختلفة فقط، وهذه الاختلافات الأساسية متجذرة ثقافياً (Lebrón,2013:127). ويشير هوفستد أيضاً إلى نقطة مهمة مفادها أن على الرغم من أن جوانب معينة من الثقافة مرئية مادياً، فإن معناها غير مرئي لأنه ثقافي ويظهر في الطريقة التي يفسر بها الممارسون لهذه الممارسات (Naibei,2014:2).

2. مفهوم الثقافة مقابل المفاهيم الأخرى

- **الثقافة مقابل الحضارة**

كثيراً ما تستعمل كلمة "ثقافة" باعتبارها مرادفةلـ "الحضارة"، ولكن في بعض السياقات بدأت معانيها تتباعد، ففي القرن التاسع عشر كان هناك كتّاب مؤثرون رأوا أن "الثقافة" تشير إلى التقدم "الحضارة الصناعية"، وقد عكس ذلك جزئياً التعارض بين الأدب والفن والحرف، من ناحية، وكيف أن العلم والتكنولوجيا يعيدان تشكيل المجتمع من ناحية أخرى. وغالباً يُصاغ التباين هنا بين النمو العضوي والاصطناعية الميكانيكية. كان هذا الرأي محورياً في تفكير ماثيو أرنولد – الشاعر والناقد الأدبي – الذي أثر عمله تأثير مهماً بشكل خاص على التطور اللاحق لمفهوم الثقافة، وعلى النقيض من ذلك، في الأنثروبولوجيا، تم التعامل مع مصطلحي "الثقافة" و"الحضارة" باعتبارها مرادفين افتراضيين في القرن التاسع عشر – ومن هنا كان تركيز البحث على تطور المجتمع من المراحل البدائية إلى المراحل المتقدمة، وبعبارات عامة (Hammersley,2019:3).

- **الثقافة مقابل المادية**

تعاملت أنثروبولوجيا القرن التاسع عشر مع الثقافة كلها على أنها استجابة لاحتياجات الإنسان، لذلك كانت التكنولوجيا جزءاً منها مثل الدين أو الفن، وعلم الاجتماع، والدراسات الثقافية – تركز على إذا مل كان يجب تفسير أنماط

السلوك على أنها نتاج للقيم والمعتقدات وأنماط التفكير، من ناحية، أو كنتيجة لعلم البيئة أو التكنولوجيا أو المصالح الاقتصادية، من جهة أخرى. واختلاف العلماء فيما بينهم على كون الثقافات تكيفات مع بيئات متنوعة، مادية واجتماعية ثقافية، وأن الأشكال الثقافية يمكن أن تعرقل التطور التكنولوجي أو الاقتصادي (Hammersley,2019:63).

- **الثقافة مقابل المجتمع**

عندما يُنظر إلى "الثقافة" على أنها تعددية، وتُفسر على أنها تشير إلى أسلوب حياة كامل، غالباً ما يبدو أنها تضم كل ما يأتي عادةً تحت عنوان "المجتمع"، وفي أوقات أخرى يتم التعامل مع الثقافة باعتبارها جزءاً أو نظاماً فرعيًا من المجتمع، بصرف النظر عن الاستخدام العرضي لكل من "الثقافة" و"المجتمع" بوصفها مرادفين جزئيًا، هناك عدم يقين بشأن المعاني المتضمنة كما هو الحال مع إعلان إليوت أن الثقافة هي إنشاء مجتمع بينما تكون أيضاً "ما يجعلها مجتمعاً، على سبيل المثال، إذا اعتبر المجتمع مجموعة منظمة من الأفراد بأسلوب معين في الحياة، فإنها تكون الطريقة في الحياة أما إذا اعتبر المجتمع مجموع العلاقات الاجتماعية، فإنها تصبح محتوى تلك العلاقات. ويؤكد المجتمع المكون البشري، ومجموع الناس والعلاقات بينهم، وتؤكد الثقافة مكون الموارد المتراكمة، غير المادية وكذلك المادية، التي يرثها الناس ويوظفونها ويتناقلونها ويضيفون إليها (Johnson,2013).

إن التمييز بين ما هو ثقافي وما هو مجتمعي يمثل تحدياً، فالمشاكلات هنا لا تظهر فقط من الطريقة التي يستخدم بها مصطلح الثقافة، ولكن أيضاً من الغموض في المعاني المعطاة لمصطلح "المجتمع"، التي تستخدم أحياناً للإشارة إلى دولة قومية معينة أو وحدة مماثلة محددة إقليمياً. ومع ذلك، قد ينطبق أيضاً على جزء مكون من أمة، كلمة المجتمع "تستخدم أيضاً للإشارة إلى ما يمكن تسميته "بالتواصل الاجتماعي" (Hammersley,2019:64).

3. مفاهيم غير ملائمة لمفهوم الثقافة في علم الأنثروبولوجيا

أ. الثقافة متجانسة

يفترض هنا بعض علماء الأنثروبولوجيا أصحاب هذا الأتجاه أن الثقافة (المحلية) خالية من التناقضات والمفارقات الداخلية، فهي عبارة عن سلوكيات واضحة لا لبس فيها للأفراد بمجرد فهمها أو تعلمها من قبل شخص خارجي، يمكن وصفها بطرائق مباشرة، ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه أن النظرة المتجانسة للثقافة تجعل من السهل دراستها وتفسيرها.

ب. الفرد يمتلك ثقافة واحدة

ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلي الثقافة باعتبارها مرادفة للهوية ويجب الحذر من هذا المفهوم الذي قد يؤدي في النهاية إلى ما يمكن أن نسميه الثقافة المرتبطة بالهياكل أو المؤسسات، وهذا ما ظهر مع علماء الأنثروبولوجيا عند وضع تعريف لها لأول مرة، ثم طورها علماء السياسة الذين تبنوا مفهوم (أنها "ثقافة سياسية")، فضلوا الدولة القومية بوصفها وحدة تحليلهم – ومن هنا جاءت فكرة "الشخصية الوطنية". خلاصة القول، لا يوجد شيء اسمه ثقافة فردية، فإذا كان الفرد يفكر ويتصرف بطريقة معينة، فإن هذا الفكر أو الفعل يكون خاصاً وليس ثقافيًا، لكي تعتبر فكرة أو شيئًا ما أو سلوكًا ثقافيًا، يجب أن يشاركها نوع من المجموعة الاجتماعية أو المجتمع (Naibei,2014:4)

ت. الثقافة خالدة

ترتبط ارتباطًا وثيقًا بوجهة النظر التي تقول إن الثقافة لا تتغير بمرور الزمن، لا سيما فيما يسمى بالثقافة التقليدية (Spencer-Oatey,2012:16).

خامسًا: الدراسات السابقة

بمراجعة الدراسات الأكاديمية المتخصصة السابقة، والتى ركزت وتناولت مفهوم الثقافة من الجانب الأنثربولوجي والاجتماعي تبين محدودية الدراسات

الحديثة على الرغم من عدم اتفاق العلماء حتى الأن على تعريف واضح لفهوم الثقافة، ولذا اختارت الباحثة عدداً من الدراسات الأجنبية ذات الصلة بموضوع الدراسة مع مراعاتها أن تكون الفترة الزمنية للدراسات السابقة حديثة إلى حد ما.

طرحت دراسة (Armenta Delgado, I. 2013) كيفية قيام مجموعة من معلمي وطلاب اللغة الإنجليزية الأجانب والمحليين في قسم اللغة بجامعة غواناخواتو بالمكسيك ببناء مفهوم «الثقافة»، حيث اعتمدت المنهج الإثنوجرافى مع استخدام الملاحظة والمقابلة أدوات ووسائل الجمع الميدانى، وتكونت عينة الدراسة من ٨ معلمين و٢٤ طالباً، وركزت الدراسة على استكشاف مفهوم الثقافة من خلال رؤيتهم الذاتية وتجربتهم وخبرتهم الشخصية، وظهرت نتائج الدراسة كالتالي:

1- إن بناء «الثقافة» عملية معقدة يكافح فيها الفرد للحصول على مصادر متنوعة للمعرفة سواء من مصادر شخصية (الآباء والتربية) أو الخطابات المهنية والعامة.

2- هناك العديد من العوامل المتقاطعة في بناء "الثقافة"؛ المفاهيم التي يعتمد عليها.

3- يُنظر إلى الفرد على أنه يعتمد على الكثير من مصادر المعرفة وفقًا للعوامل السياقية المحددة للحدث بين الثقافات.

4- من خلال هذا الدراسة كشِفَ عن أفكار ومشاعر المشاركين فيما يتعلق بالذات والآخر.

أما دراسة "(Benson, C. ,2004)، فقد تناولت موضوع مفهوم «الثقافة» ودورها في المفردات الصحفية *لمجلة نيويورك تايمز* خلال عام ٢٠٠٠، وتمحور هدف دراسته في تحليل المضمون والنصي للمجلة لرصد كيف يقوم المنتج الإعلامي بإنشاء وتعريف مفاهيم جديد للثقافة، واستعانت هذه الدراسة

بخمسة تعريفات للثقافة للعالم ريموند ويليامز مدخلًا للتحليل والتفسير والربط بمضمون المفردات الصحفية للمجلة، وخرجت ببعض النتائج على النحو التالي:

1- إن هناك تعريفين من التعريفات الخمسة للعالم ريموند ويليامز هما اللذان يسودان الثقافة باعتبارها طريقة حياة وثقافة بوصفها ممارسات دالة.

2- يكاد يكون من المستحيل تحديد مفهوم للثقافة، على الرغم من محاولات تقييد المفهوم.

3- يجب على الصحفيين التحدث بعناية أكبر عن الثقافة أو الحد من حديثهم الثقافي، لأن كلما زاد عدد الصحفيين الذين يستخدمون هذا المفهوم، قل فهمهم له.

دراسة (Douglass, A. M. 1997)، التي على الرغم من كونها دراسة قديمة نسبيًا، إلا أنها قدمت طرحًا مهمًا حول مفهوم الحداثة والثقافة؛ حيث عرضت المناقشات الثقافية التي ظهرت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، والتي مثلت في كتاب "**الثقافة والفوضى**" **لماثيو أرنولد**، وكتاب" **الثقافة البدائية**" **لإدوارد بورنيت تايلور**، ثم تطرائق إلى أفكار العالم **جيمس كليفورد** والتي ظهرت فى كتاب "**الثقافة**"، أثبت أن التقاطع بين الرواية الحداثية والعلوم الاجتماعية يتمحور حول صراع واسع لتعريف مفهوم الثقافةدراسة (Hegeman, S. 1992) عن تحولات مفهوم الثقافة في أمريكا الحديثة، قدمت تاريخ استخدام كلمة «ثقافة» في الولايات المتحدة. يستكشف الفصل التمهيدي التحول المفاهيمي في استخدام المصطلح واتبع معظم الأمريكيين استخدام ماثيو أرنولد مفهوم «الثقافة»، ثم تناول تطور استخدام الكلمة باعتبارها مصطلحًا نوعيًا يشير إلى عوالم محددة من التجربة الاجتماعية ووجود ثقافات متعددة ومستقلة نسبيًا ومتكافئة نسبيًا مثل " الثقافة

الفرنسية"، "الثقافة الأمريكية"، وتناول فى ثلاثة فصول آراء علماء الأنثروبولوجيا وتعريفاتهم للثقافة، وهم فرانز بواس وإدوارد سابير وروث بنديكت، وراندولف بورن وفان ويك بروكس والدو فرانك. ويتناول الفصلان الأخيران للدراسة التغيرات في دلالات «الثقافة» الناتجة عن استخدامها الشعبي الامريكي الناشئ في الثلاثينيات. وخرجت نتائج الدراسة بتأكيد ما يلي:

1- إن مصطلح «الثقافة» قد فقد الكثير من قوته التقدمية والتطويرية في فترة الأربعينيات من اهتمام العلماء.

2- إن "الثقافة" استعادت الكثير من معناها الذي تبناه العالم أرنولد في القرن التاسع عشر باعتبارها مقياساً كمياً وأفضل ما تم التفكير فيه وقوله عن تعريفها.

تعقيب عام على الدراسات السابقة

1- اهتمت الدراسات السابقة بعرض المناقشات التي دارت في فترة القرن التاسع عشر حول مفهوم الثقافة، ولم تستطع تقديم معايير لوضع مفهوم واحد لها.

2- ليس هناك دراسات حديثة تناولت إشكالية مفهوم الثقافة، على الرغم من عدم اتفاق العلماء حتى الآن على تعريف واحد للثقافة .

3- أكدت أغلب الدراسات السابقة وإن لم تكن كلها أن من المستحيل تحديد مفهوم للثقافة، وهنا يُطرح تساؤل؛ هل فعلا من المستحيل في الوقت الحالى وضع تعريف لمفهوم الثقافة مع التقدم والتطور في الدراسات الميدانية والنظرية لعلم الأنثروبولوجيا؟ وهو تساؤل تم طرحه على عينة الدراسة.

4- هناك بعض الدراسات والأدبيات السابقة اعتمدت عليها الباحثة بشكل أساسي في عرض مفهوم الثقافة؛ ولذلك لم تُعرضَ باعتبارها دراسات سابقة .

سادساً: التوجه النظري للدراسة

1- مدخل رؤى العالم

هذا المدخل لا يعتمد على أفكار أو فرضيات أو قضايا سابقة يعتمد عليه الباحث ويقوم باختبارها في ميدان الدراسة، بل هذا المدخل يعتمد على قضية أساسية هي كيف ينظر الناس أنفسهم إلى ذاتهم وحياتهم والعالم الذى يحيط بهم، ويرصد الباحث هذه الرؤى من خلال أنساق المعتقدات والعادات والرموز ومبادئ الفكر والسلوك والأفعال، وبشكل عام يرصدها الباحث من خلال الثقافة.يرجع الفضل في استخدام مفهوم "رؤى العالم "إلى الفيلسوف الألماني " فيلهلم ديلتاي" Wilhelm Dilthey، الذى يرى أن " المهم فى دراسة هؤلاء الناس الكشف عن نظراتهم إلى العالم، هو البحث وراء الأفعال الظاهرية عن الأفكار والمشاعر والوجدانيات، بل أيضا الميول والرغبات وغيرها من العناصر والعوامل(الداخلية) التى تساعد على الوصول إلى (فهم) أعمق وأكثر دقة لتلك الأفعال والتصرفات (أبو زيد،١٩٩٣: ٥٨).

رؤي العالم هي وجهة نظر حول الحياة والعالم والإنسانية وزيادة الفردية والوعي لوجهات النظر العالمية المنظمة المتنوعة بسبب العولمة، بدأ الناس في بناء رؤيتهم الشخصية للعالم التي لا تستند إلى رؤية عالمية منظمة محددة (Jacomijn, Kooij, de Ruyter& Miedema,2013:213)، فهي مجموعة متماسكة من المفاهيم التي تسمح لنا "ببناء صورة عالمية للعالم"، وهذا التعريف يساعدنا على فهم أكبر عدد ممكن من عناصر تجربتنا وثقافتنا .(Vidal,2008:3)

عرف العالم روبرت ردفيلد Robert Redfield رؤي العالم بأنها "الطريقة التي ينظر بها الناس بشكل مميز إلى الخارج، إلى الكون". ويرتبط بقضايا ما هو وما يجب أن يكون وبأنماط وأشكال الفكر والمواقف، والوقت، والعواطف، وما إلى ذلك. فهي الطريقة التي نرى بها أنفسنا فيما يتعلق بكل شيء آخر،

رؤي العالم قديمة قدم البشرية. فليس كل شخص حتى في الثقافة نفسها لديه رؤية العالم،على الرغم من أن لا يوجد سوى عالم واحد فقط، فإنه يتم تفسيره بأشكال مختلفة. فكل شخص لديه رؤيته للعالم، ولا توجد أية استثناءات (Naugle,36)

أما العالم "كليفورد جيرتز" Clifford Geertz فقد ميز بين مفهومين أساسين، هما مفهوم رؤى العالم الذى يرتبط بالجوانب المعرفية، ومفهوم روح الثقافة الذى يرتبط بالجوانب الأخلاقية والجمالية، وكلا المفهومين يشكلان معنى الثقافة طبقا لأراء جيرتز فإن الثقافة لا ينحصر مفهومها على مجرد التصورات والأفكار والجوانب المعرفية فى عقول الأفراد إذ إنها عامة وخارجية وتخضع للدراسة الميدانية. (الاسود،٢٠٠٢: ١١٥)

فدراسة رؤية العالم فى أي مجتمع من المجتمعات، هي دراسة لموقف الإنسان لكل ما يحيط به من وجهة نظر الأشخاص الذين يختارهم الباحث لإجراء بحوثه عليهم، والذين يعتبر كل (شخص) هو مركز الدراسة أو المحور الذي يدور حوله البحث، على اعتبار أنه يكشف عن نظرته الخاصة أو رؤيته الخاصة التي تعبر في حقيقة الامر ودون أن يدرى أحياناً عن المبادئ العقلية التى تكمن وراء هذه النظرة أو تلك الرؤية، ومن هنا كان (العنصر) الأساسي في دراسات رؤى العالم هو (الشخص) أو (الذاتself). (البسطويسي، ٢٠٠٧: ٣٥)

ثالثاً: الدراسة الراهنة في ضوء التوجه النظري

من أسباب اختيار هذا المدخل للدراسة مدى ملاءمة مبادئ هذا المدخل مع الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة والحديثة، فلقد شاع استخدام مصطلح "رؤي العالم" في الكتابات والدراسات الأنثروبولوجية الحديثة والمعاصرة، وساعد على فهم وتحليل المجتمعات بطرائق موضوعيه "مبنية" على تفسير الناس أصحاب الثقافة نفسها، وفي ضوء ذلك يمكن تحديد أوجه الاستفادة من المدخل النظري في الدراسة من خلال النقاط التالية:

1- تفسير أسباب تعدد مفاهيم الثقافة في الاتجاهات النظرية الأنثروبولوجية.

2- رصد وتقييم التعريفات المتعددة للثقافة .

3- وضع تصور لمفهوم الثقافة من منظور رؤي المبحوثين .

4- محاولة الإجابة عن هذا التساؤل "هل نستطيع القول بأن هناك تعريفاً للثقافة الإفريقية أو للثقافة العربية أو للثقافة الأوروبية ..... إلخ؟

ثامناً: الإجراءات المنهجية للدراسة

1- مجتمع الدراسة "كلية الدراسات الافريقية العليا – جامعة القاهرة"

تأسست كلية الدراسات الأفريقية العليا تحت مسمي معهد الدراسات السودانية عام ١٩٤٧، وكان تابعاً لكلية الآداب وضم المعهد في ذلك الوقت قسمي الجغرافيا والتاريخ، وكانت مدة الدراسة فيه سنتين، ثم استقل عن الكلية وأصبح تابعاً لجامعة القاهرة بشكل مباشر تحت مسمى معهد البحوث والدراسات الأفريقية عام ١٩٥٤، وفي عام ١٩٧٠ صدر قرار جمهوري بتطوير المعهد لكي يضم بجانب قسمي الجغرافيا والتاريخ الأقسام التالية: (قسم الأنثروبولوجيا – قسم اللغات الأفريقية – قسم السياسة والاقتصاد – الموارد الطبيعية) ويقوم النظام التعليمي في الكلية علي دبلوم تخصصي مؤهل للماجستير والدكتوراه.

إجريت الدراسة الميدانية في قسم الأنثروبولوجيا والذي يضم ثلاثة تخصصات أكاديمية هي: (الأنثروبولوجيا الطبيعية – الأنثروبولوجيا الاجتماعية – الأنثروبولوجيا الثقافية) ويتخصص الطالب في هذه التخصصات الأكاديمية في مرحلتي "الماجستير – الدكتوراه". أما مرحلة الدبلوم تعتبر مرحلة عامة فيتعلم فيها الطالب معلومات شاملة عن علم الأنثروبولوجيا ومنهجيته ونظرياته مع معلومات عن تاريخ وجغرافية وثقافة الشعوب والقبائل داخل قارة

أفريقيا.

2- عينة الدراسة

أجريت الدراسة الميدانية علي طلاب قسم الأنثروبولوجيا، وشملت عينة الدراسة طلاب مرحلة الدبلوم الفصل الدراسى الثاني لعام ٢٠٢٢، وجاء اختيار هذه العينة حتى تتمكن الباحثة من اختبار المعرفة والعلم والتوجه النظري بإشكالية مفهوم الثقافة، وذلك بعد قيامهم بدراسة هذا المفهوم تحت مسمى مادة الأنثروبولوجيا الثقافية، والتي تدرَس في الفصل الدراسي الأول، واشتملت العينة علي ٤٠ مفردة من طلاب مرحلة الدبلوم قسم الأنثروبولوجيا، وجاءت خصائص العينة كالتالي:

- عدد الذكور ١٥ والإناث ٢٥.
- تراوحت فئات العمر لعينة الدراسة ما بين سن ٢٥ وسن ٥٠ سنة.
- جميع عينة الدراسة حاصلون علي مؤهل تعليمي جامعي، وهناك تنوع في التخصصات ما بين خريجين كليات الآداب "أنثروبولوجيا – اجتماع – علم النفس – الفلسفة" وكلية الآثار – كلية خدمة اجتماعية – كلية الحقوق – كلية الإعلام.

3- منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهجية الأساسية في علم الأنثروبولوجيا وهي الدراسة الميدانية، حيث استعانت الباحثة بأسلوب المقابلات البؤرية Focus group discussionsفي اجراء الدراسة الميدانية من خلال تقسيم عينة الدراسة إلى مجموعات بإجمالى ٧ مجموعات، ضمت ما بين ٥ إلى ٨ طلاب في المجموعة الواحدة.

كما استعانت الباحثة بدليل المقابلة لإجراء المقابلات البؤرية وقسم الدليل إلي

خمسة محاور ونقاط أساسية على النحو التالي:

1- إشكالية مفهوم الثقافة في علم الأنثروبولوجيا.

2- عرض لبعض تعريفات مفهوم الثقافة.

3- طُرح للناقش تساؤل ما أقرب تعريف لمفهوم الثقافة من وجهة نظرك من العرض السابق؟ ولماذا؟

4- هل نستطيع قول إن هناك ثقافة أفريقية أو ثقافة عربية أو ثقافة اسلامية أو ثقافة أوروبية ....الخ؟ ولماذا؟

5- من وجهة نظرك قدم تصوراً مقترحاً لإشكالية مفهوم الثقافة في علم الأنثروبولوجيا.

نوقشت محاور الدليل في المقابلات البؤرية Focus group discussions علي فترة زمنية امتدت لمدة شهرين، وأجريت ٦ مقابلات استغرقت كل مقابلة منها حوالي ٣ ساعات في المرة الواحدة.

تاسعًا: نتائج الدراسة

خرجت الدراسة بعدد من النتائج التي توضح إشكالية مفهوم الثقافة عند علماء الأنثروبولوجيا، ومدى اتفاق أو اختلاف هذه الإشكالية مع عينة الدراسة من خلال عرض بعض التعريفات لمفهوم الثقافة، وتحديد عينة الدراسة للتعريفات التي تناسب ثقافتهم ورؤيتهم مع توضيح أسباب اختيارهم، كما خرجت الدراسة بنتائج إلى أي مدى نستطيع القول بأن هناك ثقافة أفريقية خالصة أو ثقافة عربية خالصة..... وهكذا، وفيما يلي نستعرض نتائج الدراسة بالتفصيل:

1- تم اختيار عدد من تعريفات مفهوم الثقافة لبعض علماء الأنثروبولوجيا مع الأخذ في الاعتبار بعض المعايير التالية:

- الاعتماد علي أقدم تعريف للثقافة كما ثبت في أدبيات علم الأنثروبولوجيا

- الاعتماد على تعريف عالم الأنثروبولوجيا "كروبر" والذي عمل علي تقديم أغلب تعريفات الثقافة في كتابه.
- الاعتماد على أشهر تعريفات الثقافة المقبولة من علماء الأنثروبولوجيا للعالم الأنثروبولوجي تايلور.
- الاعتماد على تعريف منظمة اليونسكو باعتبارها المنظمة الدولية التي تهتم بالثقافة بشكل عام.

وجاءت تعريفات مفهوم الثقافة والتي تم الاعتماد عليها في المناقشات التي أجريت أثناء المقابلات البؤرية كالتالي:

التعريف الأول: أول ظهور لكلمة ثقافة كانت في قاموس الأماني عام ١٧٣٩، وعُرفت في ذلك الوقت بأنها "مجموع الفروض والأيديولوجية والسلوك المكتسب والسمات العقلية والاجتماعية والمادية المتناقلة والتي تميز جماعة اجتماعية بشرية" (هولتكرانس،١٩٧٢:٩).

التعريف الثاني: "الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والأعراف، وأية قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع" (Tylor,2016:13).

التعريف الثالث: تتكون الثقافة من أنماط، صريحة وضمنية، للسلوك المكتسب والمنقول عن طريق الرموز، والتي تشكل الإنجازات المميزة للجماعات البشرية، بما في ذلك تجسيدها في المصنوعات اليدوية؛ يتكون الجوهر الأساسي للثقافة من الأفكار التقليدية (أي المشتقة والمختارة تاريخياً) وخاصة القيم المرتبطة بها (Kroeber & Kluckhohn 1952: 181).

التعريف الرابع: عرفت منظمة اليونسكو الثقافة على أنها "مجموعة متنوعة من الخصوصيات الدينية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً معيناً، وهي لا تشمل الفن والأدب فقط، بل أنماط الحياة وطرائق العيش المشترك، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات (اليونسكو،٢٠٠٩:٩).

عُرضت التعريفات السابقة على عينة الدراسة الميدانية للمناقشة، وخرجت النتائج التالية:

- بشكل عام اتفقت عينة الدراسة على أن هذه التعريفات يمكن استخدامها بالفعل للتعبير عن الثقافة، وذلك لأنها ضمت الجوانب المادية والجوانب غير المادية في حياة الأفراد، كما أن هذه التعريفات حاولت الجمع بين أكثر من عنصر من عناصر الثقافة المتعارف عليها.
- التعريفات السابقة لمفهوم الثقافة هي تعريفات وصفية تشتمل أكثر على التعدد والوصف عن الوظيفة والمعني.
- على الرغم من اتفاق عينة الدراسة على التعريفات السابقة فإن هناك بعض النقد، حيث اعترضت عينة الدراسة على استخدام كلمة "مجموعة من الفروض" في التعريف الأول، لأن الثقافة ليست مجموعة فروض قابلة للتطبيق في المجتمع، بل إنها من وجهة نظرهم هي عناصر مطبقة بالفعل في المجتمع.
- أما التعريف الثاني، ومن وجهة نظر عينة الدراسة، فإنه لم يشمل كل عناصر الثقافة، بل وضع أمثلة لبعض عناصرها غير المادية وتجاهل الدين والهوية والسلوك، والتي تعتبر عناصر ثقافية يُعتمد عليها في تشكيل الإنسان. أما الثقافة المادية، فقد عبر عنها بشكل شمولي يسمح بكل التغيرات والتطويرات التي تحدث في المجتمع بشكل مستمر، ولذا فهو من التعريفات الأكثر تعبيراً عن مفهوم الثقافة، مع مراعاة أنه يجب تطويره ليشمل جميع عناصرها غير المادية.
- ترى عينة الدراسة أن التعريف الثالث ركز في الأساس على فكرة الأنماط الثقافية وكيفية انتقالها وتفسيرها وهذا مهم في تعريفات الثقافة، ولكن هذا

التعريف ركز على أن الثقافة تتشكل من خلال الأفكار التقليدية فقط، وبالتالي أخرج هذا التعريف الكثير من عناصر الثقافة الجديدة وأرجعت عينة الدراسة السبب في ذلك إلى قدم وضع التعريف.

2- أكدت عينة الدراسة، أن تعريف منظمة اليونسكو حاول أن يعالج إشكالية مفهوم الثقافة من خلال اعتماده على كلمات تحمل في مضمونها تعريفات ومفاهيم شاملة للكثير من عناصر الثقافة، كما أن هذا التعريف ضم تعبيرت مثل: "أنماط الحياة وطرائق العيش المشتركة"، وبالتالي شمل كل العناصر الثقافية في الحياة اليومية في الماضي والحاضر والمستقبل، وبذلك لم يقع في فكرة التصنيف والاستثناءات، كما أنه أكد فكرة الخصوصيات الثقافية واعترف بها، وبناءً على ما سبق، تعتقد عينة الدراسة أن مفهوم منظمة اليونسكو من المفاهيم التي نستطيع القول بأنها تعبر عن مفهوم الثقافة لما تحمله من شمولية وموضوعية وقدرة على التعبير عن تطور وتغير المجتمعات، وبالتالي تغير وتطور البشر وبالتالي تغيرت ثقافتهم، فالتعريف يجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل.

3- أكدت عينة الدراسة أن فكرة إشكالية مفهوم الثقافة عند علماء الأنثروبولوجيا الأوائل هي إشكالية واهية غير حقيقية وقع فيها العلماء الأوائل، وذلك لارتباط علم الأنثروبولوجيا قديماً بفكرة الاستعمار في أفريقيا والنظر إلي الإنسان الإفريقي باعتباره إنساناً بدائياً تقليدياً يعيش حياته بدون تنظيم وبدون نظام اجتماعي مثل الدول الأوربية والأمريكية، فلم يتقبل أو يفهم العلماء الأنثروبولوجيون الموجودون في أفريقيا طبيعة الحياة والفكر والثقافة بل حاولوا الربط والمقارنة بين الثقافة الأوروبية والأمريكية وما هو موجود في الواقع الأفريقي، وهذا ما أوقعهم في تفسيرات ومحاولات فهم وتحليلات خاطئة ومضللة للثقافة الأفريقية، ولذلك فإن فكرة إشكالية مفهوم الثقافة هي إشكالية

في فكر علماء الأنثروبولوجيا الأوائل فقط، ويؤكد ذلك ما قام به العلماء فيما بعد من محاولات تصحيح وتحليل للثقافة الأفريقية بناءً على دراسات ميدانية واقعية وموضوعية.

4- أكدت عينة الدراسة أن هناك الكثير من المفاهيم والتعريفات التي تعتبر غير ملائمة لمفهوم الثقافة، وتُستخدم ويعتمد عليها من قبل علماء الأنثروبولوجيا وعلماء التخصصات العلمية الاخرى مثل الاجتماع والفولكلور والتاريخ، ومثل هذه المفاهيم غير الملائمة (الثقافة مقابل الحضارة – الثقافة مقابل التراث – الثقافة مقابل القيم والمعتقدات – الثقافة مقابل المجتمع) وأرجعت إلى أن هذه المفاهيم (الحضارة – التراث – المعتقدات – القيم) هى مفاهيم تندرج تحت عناصر ومكونات الثقافة وبالتالي مفهوم الثقافة هو المظلة التي تضم هذه المفاهيم. أما بالنسبة لمفهوم (الثقافة مقابل المجتمع)، فالمجتمع أشمل وأعم ويضم الثقافة والأنظمة والبناء الاجتماعى والإنسان وبالتالى الثقافة تصبح هنا جزءاً من أجزاء تكوين المجتمع.

5- وأشارت عينة الدراسة أيضاً أن هناك تعريفات لمفهوم الثقافة طرحها علماء الأنثروبولوجيا أنفسهم لا تعبر عن معنى الثقافة مثل التعريف الذي قدمه العالم وايت – على سبيل المثال وليس الحصر– بأن **الثقافة هي سلسلة متصلة زمنيًا للأشياء والأحداث التي تعتمد على الترميز**، والذي اتسم بالغموض وعدم الوضوح من وجهة نظر عينة الدراسة .

6- عندما طُرح تساؤل هل هناك ثقافة أفريقية أو ثقافة عربية أو ثقافة إسلامية أو ثقافة أوروبية؟ ولماذا؟ على عينة الدراسة دار نقاش استغرق حوالي ٧ ساعات، وعلي الرغم من إجماع العينة على أننا نستطيع أن نميز بين الثقافة الأفريقية والأوروبية والأمريكية والأسيوية والثقافة العربية والإسلامية فإننا لا نستطيع إنكار أو تجاهل التنوع الشديد داخل كل ثقافة أو إنكار

خصوصية الثقافات، ولذلك يجب الأخذ في الاعتبار النقاط التالية:

- إن الثقافة الأفريقية هي كل الثقافات التى تظهر وتنشأ داخل قارة أفريقيا، ويقاس على ذلك بقية الثقافات الأخرى مثل الأوروبية والأمريكية والأسيوية.
- الاعتراف والقبول بفكرة التنوع والخصوصية الثقافية ليس فقط داخل القارة بل داخل كل دولة أو قبيلة أو جماعة، وهذا القبول لا يتعارض مع فكرة الثقافة المشتركة الواحدة.
- يجب استخدام كلمة الثقافات كجمع وليست كلمة مفردة كما تُستخدم في الأدبيات والدراسات الأنثروبولوجية، وهذا يسهل فكرة قبول التنوع الثقافى بين علماء الأنثروبولوجيا.
- القبول والاعتراف بثقافة كل تجمع بشري يشترك في الكثير من العناصر الثقافية ولا يشترك في الموقع الجغرافي .

7- لكي نستطيع أن نقدم تعريفًا لمفهوم الثقافة يجب الأخذ في الاعتبار أولًا بعض النقاط التالية:

- الثقافة ليست شيئًا نولد به؛ إنه غير بيولوجي بل نتعلمه على مدى حياتنا.
- الثقافة مشتركة ولكل منا خصائصه الثقافية الخاصة، فإننا نشارك جزءاً كبيراً من ثقافتنا مع الآخرين.
- الثقافة رمزية لأنها تعطي معنى للأشياء، قد تكون اللغة أهم مثال على الطبيعة الرمزية للثقافة، واللغة هي إحدى الطرائق الأساسية التي نتواصل بها مع بعضنا بعضاً .

- الثقافة شمولية لأنها مخطط للعيش وتخبرنا كيف نستجيب في موقف معين.
- الثقافات أيضاً نظام من المؤسسات التي تعمل معاً لتلبية احتياجات المجموعة.
- الثقافات هي المجموعة المعقدة والواسعة من العلاقات والقيم والمواقف والسلوكيات التي تربط مجتمعاً معيناً بوعي وبدون وعي.
- الثقافة هي البرمجة الجماعية للعقل، التي تميز أعضاء مجموعة
- الثقافات مثل التاريخ، تسمح بالتغيير والتطوير.
- الثقافة ديناميكية، وتشكل وتتشكل من قبل أولئك الذين يشغلونها.
- أخيراً الثقافة متكاملة.

8- وضعت عينة الدراسة تصوراً لمفهوم إجرائى لتعريف الثقافة: بأنها حياة الإنسان المختلفة والمتنوعة لبناء واستمرار المجتمع، والتي تظهر وتترجم إلى نسقين:

- النسق الأول "الفكري والمعرفي" ويضم (الافكار– المعتقد– العرف– القيم– الأخلاق– الهوية– الدين– اللغة– التراث الشفاهي– الوعي– العواطف والمشاعر– وكل ما يرتبط بالنسق الفكري والمعرفي) .
- النسق الثاني "المادي" ويضم (السلوكيات– العلاقات – التعاملات – القانون والتشريع – الروتين اليومي – الأدوات بكل أنواعها – الصناعة – كل ما يستخدمه الإنسان لسد احتياجاته الاساسية والمادية).

9- رؤية أعضاء المجتمع لذاته ولثقافته ولعلاقاته هي التي يجب أن يركز

عليها علماء الأنثروبولوجيا عند وضع مفهوم أو تفسير أو تحليل أو محاولات فهم المجتمع، لأن الفرد ورؤيته هي التي تشكل ثقافته وسلوكه وعلاقاته بالآخرين داخل المجتمع وخارجه ورؤيته للعالم الذي يعيش فيه، خلاصة القول رؤية الفرد هي التي شكلت حياته في الماضي والحاضر وفي المستقبل، وعالم الأنثروبولوجيا وعلم الأنثروبولوجيا هدفهما دراسة الإنسان في الواقع للفهم ولوضع التصورات للتنمية وتحسين جودة نوعية الحياة داخل العالم.

خاتمة

يمكن القول إن الثقافة هي التي تمنح الإنسان القدرة على التفكير في نفسه، إنها تجعلنا كائنات بشرية وعقلانية على وجه التحديد، وتمنحنا حكماً نقدياً وشعوراً بالالتزام الأخلاقي، ومن خلال الثقافة نميز القيم ونتخذ الخيارات، ومن خلالها يعبر الإنسان عن نفسه، ويدرك نفسه، ويدرك عدم اكتماله، ويتساءل عن إنجازاته، ويسعى بلا كلل إلى معانٍ جديدة ويبتكر أعمالًا يتجاوز بها حدودها. الثقافة هي الإنتاج الاجتماعي ونقل الهويات والمعرفة والمعتقدات والقيم والمواقف والفهم؛ وكذلك أسلوب الحياة، بما في ذلك العادات والأعراف والأخلاق واللباس والمطبخ واللغة والفنون والتكنولوجيا والدين والطقوس؛ قواعد وأنظمة السلوك والتقاليد والمؤسسات، لذلك الثقافة هي الوسيلة والرسالة والقيم والوسائل المتأصلة ونتائج التعبير الاجتماعي.

والثقافة في حد ذاتها، هي وسيلة يدرك البشر من خلالها سماتهم الجوهرية، عندما يُنظر إليها على أنها مجموعة من الأجهزة الرمزية للتحكم في السلوك، ومصادر المعلومات، فإنها توفر الرابط بين ما يستطيع البشر جوهرياً أن يصبحوا عليه وما أصبحوا عليه، في الواقع فكرة أن الثقافات لا يمكن فهمها

بشكل موضوعي؛ لأن جميع البشر يرون العالم من خلال عدسة ثقافتهم الخاصة.

التوصيات

من خلال العرض النظري والميداني توصى الباحثة إلي أهمية وضع التعريفات والمفاهيم من خلال الجماعات والقبائل والشعوب التي تُدرَس، وقبول التنوع والاختلاف بينهم في وضع تعريف لثقافتهم، فرؤى العالم المدخل المناسب لدراسة وفهم وتفسير ووصف الثقافات حول العالم، لأنه يعتمد في المقام الأول علي رؤية الإنسان لذاته وللمجتمع وللعالم، وبالتالي فالإنسان هو الذي يعطي للكلمة معنى ووظيفة، وهو الذي يعطي لمفهوم الثقافة معناها ووظيفتها؛ ولذلك فإن الثقافة يجب أن تُفهم وفقًا لشروطهم الخاصة بدلاً من مقارنتها وتصنيفها.

قائمة المصادر والمراجع

أبو زيد، أحمد (١٩٩٣)، رؤى العالم: تمهيدات نظرية، القاهرة: المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

الأسود، السيد حافظ (٢٠٠٢)، الانثروبولوجيا الرمزية:دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها، الغسكندريه: منشأه المعارف.

هولتكرانس، إيكه (١٩٧٢)، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة:الجوهري، محمد؛ الشامي، حسن، ذاكرة الكتابة (٩) ط٢، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة .

البسطويسى، إيمان يوسف (٢٣ مايو ٢٠٠٧)، رؤية المعالجين التقليدين للطب الشعبي في قبيلتى الجبالية والكيكويو، أعمال مؤتمر الصحة والمرض فى أفريقيا، ص ص ٣١٢-٣٣٩.

إطار الإحصاءات الثقافية لليونسكو لعام ٢٠٠٩.

http://uis.unesco.org/sites/default/files/documents/unesco-framework-for-cultural-statistics-2009-ar.pdf

References

Armenta Delgado, I. (2013). Constructing the concept of 'culture' in a mexican university language department: the struggles of a small group of english teachers and students. Available from ProQuest Dissertations & Theses Global.

https://www.proquest.com/dissertations-theses/constructing-concept-culture-mexican-university/docview/1774245361/se-2

Baecker, Dirk. (1997). The Meaning of Culture. Thesis Eleven. 51. 37-51.

Brown, A., & Novak- Leonard, J. (2011). Getting in on the act. San Francisco: Wolf Brown/James Irvine Foundation.

https://www.irvine.org/insights/getting-in-on-the-act/

Benson, C. (2004). Concepts of culture: Textual analysis of the “The New York Times Magazine”. Available from ProQuest Dissertations & Theses Global

. https://www.proquest.com/dissertations-theses/concepts-culture-textual-analysis-new-york-times/docview/305161862/se-2

Catherine Raeff, Allison DiBianca Fasoli, Vasudevi Reddy & Michael F. Mascolo (2020) The concept of culture: Introduction to spotlight series on conceptualizing culture, Applied Developmental Science, 24:4, pp 295-298.

Douglass, A. M. (1997). "Transcendental homelessness": Modernism, the culture concept, and the novel. Available from ProQuest Dissertations & Theses Global.

https://www.proquest.com/dissertations-theses/transcendental-homelessness-modernism-culture/docview/304363415/se-2

Hamersley, Martyn. (2019) The Concept of Culture: A History and Reappraisal, Palgrave macmillan,UK.

Hegeman, S. (1992). The democracy of cultures: Transformations of the culture concept in modernist America. Available from ProQuest Dissertations & Theses Global.

https://www.proquest.com/dissertations-theses/democracy-cultures-transformations-culture/docview/303975156/se-2

Jacomijn C. van der Kooij, Doret J. de Ruyter & Siebren Miedema (2013) "Worldview": The Meaning of the Concept and the Impact on Religious Education, Religious Education: The official journal of the Religious Education Association, 108:2, 210-228.

http://dx.doi.org/10.1080/00344087.2013.767685

Johnson, Matthew. (2013). What Is Culture? What Does It Do? What Should It Do?

https://www.researchgate.net/publication/304818111_What_Is_Culture_What_Does_It_Do_What_Should_It_Do

Kroeber, A. L., & Kluckhohn, C. (1952). Culture: a critical review of concepts and definitions. Papers. Peabody Museum of Archaeology & Ethnology, Harvard University, 47(1), viii, 223.

Lebrón, Antonio. (July, 2013). What is Culture? Merit Research Journal of Education and Review Vol. 1(6) pp. 126-132. http://www.meritresearchjournals.org/er/index.htm

Naibei, Peter. (2014). CULTURE AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT.

https://www.researchgate.net/publication/266377976

Naugle, David., Worldview: Definitions, History, and Importance of a Concept, Philosophy Dallas Baptist University, Dallas, Texas, USA.

Nina Brown, Thomas McIlwraith, Laura Tubelle de González, (January 1, 2020) Perspectives: An Open Introduction to Cultural Anthropology, 2nd, The American Anthropological Association.

https://perspectives.pressbooks.com/chapter/introduction-to-anthropology/20/5/2022

anthropology/#chapter-42-section-320/5/2022

Spencer-Oatey, H. (2012) What is culture? A compilation of quotations. GlobalPAD Core Concepts.

http://www2.warwick.ac.uk/fac/soc/al/globalpad/interculturalskills/

Street, B. Vincent (Invalid Date). Sir Edward Burnett Tylor. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/biography/Edward-Burnett-Tylor

Tylor, E.B. (1920). Primitive Culture: Researches into the Development of Mythology, Philosophy, Religion, Art, and Custom, vol (1), London.

Vidal, Clément. (2008). What is a worldview? De wetenschappen en het creatieve aspect van de werkelijkheid, in press. Acco, Leuven.

https://www.researchgate.net/publication/28765232_What_is_a_worldview